



الشك والرصيد

لوليد جنبلاط فضيلة لا يملك المرء الا ان يعترف له بها، ايا تكن اوجه الاختلاف معه. انها فضيلة الوفاء، وقد شاعت الظروف ان يظهرها بشكل مدو مرتين في غضون شهر. فبعدما انفرد في بذل جهود تنظيمية كي يكون تشييع ريمون اده على قد مقام الفقيد، ها هو ينبري للدفاع عن العماد حكمت الشهابي. طبعاً، لا شيء يجمع بين العميد اده والعماد الشهابي، سوى ان الاول عاد من المنفى فيما الثاني ذاهب اليه. كذلك، لا مقارنة ممكنة بين تبعات الوفاء في كل من الحالين.

فاذا كان الحداد على ريمون اده قابل لاثارة الامتعاض عند حلفاء جنبلاط السوريين، فان مطالعة الدفاع عن العماد الشهابي تعدّ في عرف العلاقات المميزة "خرقا" اكبر بما لا يقاس من مجرد انتقاد سياسة دمشق في لبنان او حتى المطالبة بانسحاب جيشها، بوصفها تدخلا (وسافرا ايضا) في الصراعات الداخلية، وهذا ما لا تتسع له طريق الشام في اتجاه الاياب. في بلد "كل من اخذ امي صار عمي" و"اليد التي لا تستطيع كسرها، قبلها"، الى ما هنالك من قواعد الاذعان التي تتبارى طبقة سياسية تابعة على تطبيق حرفيتها، يتعدى الوفاء عند وليد جنبلاط مفهوم الشهامة ليصب في خانة المحافظة على القليل القليل من الاعتبار المتبقي للسياسة. وهذا في ذاته سبب وجيه، بالاضافة الى مستلزمات التوازن الداخلي، للدفاع عن القيمة الوطنية التي يمثلها وليد جنبلاط امام تجريح "بيانات المصادر"، اكانت لبنانية ام سورية.

بيد ان وفاء وليد جنبلاط وثباته في التحالفات لا يعني التغافل عما يحصل داخل سوريا، وهو ما تعبر عنه "فضية الشهابي"، وهذا اسمها الجديد بعدما كانت "فضية الزعبي" وقبل ان تحمل اسما آخر يفهم من احياءات "المصادر" حول وداع الشهابي انه قد يكون اسم نائب رئيس الجمهورية العربية السورية عبد الحليم خدام. ولكن، بما ان "المصادر" اياها تنطحت لاقامة صلة بين الفاسدين في البلدين المتلازمين، فقد يكون مفيدا التذكير بالدرسين الاساسيين اللذين استخرجهما اي مواطن من الحرب على الفساد في لبنان.

الاول هو ان الحملة توقفت دون ان تحقق اي نتيجة فعلية، كأنما كانت تخضع لحسابات ليس الاصلاح في مقدمها. اما الدرس الثاني، والاهم، فهو ان هذه الحرب جرت في ظل حكومة كان ركنها السياسي الابرز، قبل ايام من تشكيلها، ركناً لا يقل بروزاً في التي سبقتها، شريكا مضاربا في كل شيء.

اذا كانت الحرب على الفساد انتهت الى مثل هذه المهزلة في لبنان، فكم بالحري في بلد يفترق حتى الى الحد الأدنى من الشفافية الزمت، شأؤوا أم أبوا، الطهرانيين الجدد. ففي غياب الشفافية في السياسة السورية، وان تغذى هذا الغياب من دم جديد، يبقى كل فصل من فصول الحملة موضع تساؤل عند المواطن: لماذا فلان وليس علانا؟ لماذا حملة مجتزة، وبالقطارة؟ كيف يمكن التستر على الفساد فيسود اعواما وأعواماً قبل ان تحدث الاكتشافات بين ليلة وضحاها؟ قد يكون الرد على هذه التساؤلات ما سعت اليه الجهات القيمة على الحملة عندما اتهمت العماد الشهابي بأنه نجح في اخفاء الحقيقة امام من هم أعلى منه في هرمية السلطة السورية.



لكن هذه الحجة، ان سلمنا بها، لا تجيب عن السؤال الالهم: هل ما يكشف الآن هو كل الحقيقة؟ وهل الحقيقة الضائعة هي في الفساد وحده؟ على العكس تماماً، ان احتمال نجاح اي من متهمي اللحظة الراهنة في اخفاء جزء من الحقيقة تم كشفه أخيراً يدفع الى التساؤل عن أجزاء اخرى لم تكشف بعد وقد لا تكشف ابداً. وهذا، بالاضافة الى اعادة الاعتبار الى من كانوا ينتقدون السياسة السورية ودينوا لهذا السبب، يشجع على البحث عن الالتواءات نفسها في مجالات اخرى غير الفساد.

فاذا كان نجاح من نجح في اخفاء الحقيقة في مسألة الادارة الاقتصادية، فلماذا لا يكون غيره نجاح بدوره في حجب الحقائق في الادارة السياسية، ولاسيما في ادارة المحمية اللبنانية؟ واذا كان كل هؤلاء نجحوا في السابق، فمن يضمن ان غيرهم لا ينجح الآن في المسعى نفسه؟ واذا كان من هم في قمة الهرم السوري وقعوا ضحية الكذب، فكيف ينجو منه من هم اصغر حجماً وخبرة؟ ليست هذه الاسئلة للتشكيك، وان يكن الشك اكتسب الآن شرعية لا يستطيع ان ينكرها اي مسؤول سوري أياً يكن رصيده، ولعل الدافع اليها ما نشاهده في مجال لا علاقة له بالفساد هو الدبلوماسية.

فأمام الانقلاب في بعض تصريحات وزير الخارجية السوري فاروق الشرع، ولاسيما تخفيفه من لغة الانتصار في كلامه عن المقاومة في جنوب لبنان، لا تفسير واضحاً، غير ان السيد الشرع تفتحت عيناه أخيراً على حقائق كانت تحجب عنه في ماضٍ قريب. فأى حقيقة اخرى سيكتشف غداً؟ ربما ان الحقيقة نفسها دائماً نسبية، كما يقول سر الديمقراطية. اتعرفون؟ هذا الشيء لا ندري مَنْ نجح في اخفائه.

سمير قصير



Id-Reference	00-Pr-000405	
Media	(Support)	HC
Title		الشك والرصيد
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تتمة ١١
Date		٢٠٠٠/٦/٩
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	وليد جنبلاط - ريمون إده - حكمت شهابي - فاروق شرع
	Locations	لبنان - سوريا
	Dates	
	Themes	وليد جنبلاط - حكمت شهابي - سياسة سورية - سلطة سورية - ريمون إده - سوريا نظام - ريمون إده - سوريا - علاقات مميزة لبنانية سورية - فاروق شرع - لبنان - سياسة وليد جنبلاط - وصاية سورية
Subject		